أبو جزعة





أبو جزعة

كانَ في قديمِ الزَّمانِ طَحَّانٌ لهُ ثلاثةُ أولاد. وكانَ ذَلِكَ الطَّحَّانُ يعيشُ مَعَ أولادِهِ عِيشةً هانئة.

توالَتِ الأَيَّامُ، وتتابَعَتِ الشُّهور، وتعاقَبَتِ السِّنون، فكَبُرَ الأَولادُ وَشاخَ الطَّحَّان. وأَتى يومٌ شَعَرَ فِيهِ صاحِبُنا بِأَنَّ أَجَلَهُ قَدْ دَنا (قُرْبَ موتِه)، فاستَدْعَى أَولادَهُ الثَّلاثةَ وَقالَ لَهُمْ:

«يا أولادي، أُحِسُّ بِأَنَّ ساعَتِي قَدْ أَتَتْ (وَقْتُ موتي). إِنِّي أَتْرُكُ لَكُم طاحُونَةً وَحِماراً وَهِرّاً، هَذا كُلُّ ما تَمْلِكُهُ يَدي، فَاقْتَسِمُوهُ فِيمَا بَيْنَكُم. أُوصِيكُم بِأَنْ تُحافِظوا عَلَى الأُلْفَةِ.»

بَعْدَ أَيَّامٍ اجْتَمَعَ الأَولادُ الثَّلاثةُ، وَاقْتَرَعُوا عَلَى ما خَلَّفَ لَهُم أبوهُم مِنْ مِيراث (تَرِكَ). فَنالَ الأَكْبَرُ الطَّاحونَةَ، وكانَ الحِمارُ مِنْ نَصِيبِ الثَّاني، أَمَّا الهِرُّ فكانَ قِسْمَةَ الأَصْغَر. وَتفَرَّقوا.

ذَهَبَ الأَخُ إِلى طاحونَتِهِ يَعْمَلُ فِيها. وَاقْتادَ أَخوهُ الحِمار، وَذَهَبَ بِهِ لِيُشَغِّلَهُ، وَيَعيشَ مِمَّا يَرُدُّه عَلَيهِ مِنْ كَسْب. وَبَقِيَ الأَصْغَرُ بِصُحْبَةِ الهِرّ. فَانْكَسَرَ خاطِرُهُ، وَداخَلَهُ حُزْنٌ عَميق، وَراحَ يَنْدُبُ سُوءَ حَظِّهِ: «وَيلٌ لي، أَنا الشَّقِيّ! إِنَّ أَخَوَيَّ نالا الحَظَّ الأَوْفَر. وَبِوُسْعِهِما أَنْ يَرْبَحا ما يَسُدُّ حاجاتِهِما. أَمَّا أَنا المِسْكين، فَماذا يَنْتَظِرُني؟ سَوفَ أَقْتاتُ بِلَحْمِ الهِرِّ يوماً أَو يَومَين، وَقَدْ أَصْنَعُ مِنْ جِلْدِهِ قُفَّازَين. وَما لي بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَموتَ جوعاً.»



رَأى الْهِرُّ مُعَلِّمَهُ جالِساً عِنْدَ جِذْعِ شَجَرَة ، مُقَطَّبَ الْجَبِين ، بادِيَ الْهَمِّ ، وَقَدْ سَمِعَ شَكْواه ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُ وقالَ لَه :

« هَوِّنْ عَلَيْكَ ، يا مُعَلِّمي ، فَلا مَجالَ لِلْحُزْنِ وَالْأَسف. وكُنْ عَلى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّهُ بِوُسْعي أَنْ أُساعِدَكَ عَلى الْحَياة ، وَسَيَكُونُ حَظُّكَ أَوفَرَ مِنْ حَظِّ أَخَوَيك. أَعْطِني كِيساً كَبِيراً ، وَاصْنَعْ لي جَزْمَةً ، وَاعتَمِدْ عَلَيَّ (إتَّكِلْ عَلَيَّ) . »



أَنْصَتَ الشَّابُّ إِلَى كَلَامِ الْهِرّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقِمْ لَهُ وَزْناً كَبِيراً، وَلَمْ يَقْتَنِعْ بِهِ. بَلْ فَكَّرَ في نَفْسِهِ قائِلاً: «ماذا يَسْتَطِيعُ هذا الْهِرُّ الْمِسْكِينُ أَنْ يَعْمَلَ في سَبِيلي.» وَهَمَّ بِرَفْضِ طَلَبِهِ. إِلَّا أَنَّهُ عَدَلَ عَنْ فِكْرَتِهِ (رَجَعَ عَنْها)، وَقَرَّرَ أَنْ يُجَرِّبَهُ. فَالْهِرُّ حَيوانٌ لا يَخْلُو مِنَ الْفِطْنَة. لَعَلَّهُ يَهْتَدي إِلَى وَسِيلَةٍ تُبْعِدُ عَنْهُ الشَّقَاء، وَتُوَفِّرُ لَهُ سُبُلَ الْعَيْش. وَتَبادَرَ إِلَى ذِهْنِهِ قِصَّةُ هِرٍّ تَوَصَّلَ بِدَهائِهِ إِلى أَنْ يَحْتالَ عَلَى الْفِئْران، كَيْ يَدْفَعَها إِلى الْخُروجِ مِنْ أَوكارِها. وَما إِنْ فَعَلَتْ حَتَّى انْقَضَّ عَلَيها (وَثَبَ عَلَيها) وَبَطَشَ بِها.

عِنْدَما نالَ الْهِرُّ مَطْلَبَه، لَبِسَ الْجَزْمَة، وَوَضَعَ الْكِيسَ عَلَى كَتِفِه، وَقَدْ شَدَّ طَرَفَهُ بِحَبْلٍ، وَوَدَّعَ مُعَلِّمَهُ وارْتَحَل. رافَقَهُ مُعَلِّمُهُ بِنَظَرِهِ حَتَّى غابَ عَنْ بَصَرِه، وَهْوَ يَتَساءَل: «أَما كُنْتُ سَخِيفَ الْعَقْلِ عِنْدَما جارَيتُ الْهِرَّ في فِكْرَتِه؟ تُرى، هَلْ سَيَعودُ إِلَيَّ، أَمْ هَلْ يَذْهَبُ مِنْ دونِ رَجْعَة؟ عَلَى كُلٍّ ما كانَ قَدْ كان، وَما لي إِلَّا الانْتِظار.»

سارَ الْهِرُّ في طَرِيقِهِ لا يَلْوي عَلَى شَيء (لا يَتَوَقَّفُ). وَقَصَدَ حَقْلاً تَكْثُرُ فِيهِ الأَرانِب. جَمَعَ باقَةً مِنَ الْأَعْشابِ الطَّرِيَّةِ الَّتي تَتَذَوَّقُها تِلْكَ الْحَيَوانات (تَسْتَطِيبُها)، وَوَضَعَها في داخِلِ الْكِيس.



ثُمَّ اخْتَبَأَ وَراءَ شَجَرَة ، وَهُوَ يُمْسِكُ بِطَرَفِ الْحَبْلِ. لَمْ يَمْضِ بَعْضُ الْوَقْت ، حَتَّى اقْتَرَبَ أَرْنَبٌ غَبِيٌّ (جاهِل) مِنَ الْكيسِ وَدَخَلَه ، ثُمَّ تَبِعَهُ أَرْنَبٌ آخَرُ لَا يَقِلُّ عَنْهُ غَباوَةً. فَما كانَ مِنَ الْقِطِّ إِلَّا أَنْ شَدَّ الْحَبْلَ ، فَأَغْلَقَ الْكيس ، وَحَبَسَ الأَرْنَبَينِ في داخِلِه.

حينَئِذٍ نَهَضَ الْهِرُّ مِنْ ساعَتِه ، وَاحْتَمَلَ الْكيسَ عَلَى ظَهْرِه ، وعادَ إِلَى مُعَلِّمِه. فَوَضَعَ بَينَ يَدَيه أَرْنَباً يُحَضِّرُهُ طَعاماً لَهُ ، وعادَ أَدْراجَه (رَجَعَ مِنْ حَيْثُ أَتَى). وسارَ مِنْ تَوِّهِ (رَأْساً ، دُونَ إِبطاء) إِلَى قَصْرِ الْمَلِك. فَاسْتَأْذَنَ بِالدُّخولِ عَلَيه ، فَكانَ لَهُ ما أَرادَ. ما إِنْ مَثَلَ أَمامَ الْمَلِكِ حَتَّى قَبَّلَ الأَرْضَ بَينَ يَدَيهِ. فَأَنْهَضَهُ الْمَلِك.

إِنْحَنَى الْهِرُّ ، وَقَدْ نَزَعَ قُبَّعَتَهُ تَأَدُّباً ، قال :

« هَلْ يَتَنازَلُ ، سَيِّدي الْمَلِك ، ويَقْبَلُ هَذا الأَرْنَبَ مِنْ قِبَلِ مُعَلِّمي الْمَرْكِيز « كارابا » ؟ لَقَدِ انْتَقاهُ (إِخْتارَهُ) مِنْ مَزْرَعَتِه ، وَأَوْفَدَني إِلى جَلالَتِكُم. »

إنْفرَجَتْ أساريرُ الْمَلِك ، وَبَدا عَلَيهِ الاغْتِباط (الفَرَح ، السُّرور) ، قال :

«أَبْلِغْ مُعَلِّمَكَ أَنَّ الْمَلِكَ يَشْكُرُ لَهُ هَدِيَّتَهُ ، وَقَدْ سُرَّ بِها غايَةَ السُّرور .»

خَرَجَ الْهِرُّ مِنْ عِنْدِ الْمَلِك ، وَقَلْبُهُ يَطْفَحُ فَرَحاً . وَراحَ يَطوفُ في الْحُقُولِ يُفَتِّشُ عَنْ صَيدٍ يَقَعُ عَلَيه ، فَيَحْمِلُهُ إلى جَلالَتِهِ مِنْ قِبَلِ مَعَلِّمِهِ الْمَرْكيز «كارابا» . فَشاعَ (ذاعَ ، إنْتَشَرَ) خَبَرُ الْمَرْكيزِ في الْقَصْر ، وَبَلَغَ مِسْمَعَ ابْنَةِ الْمَلِك ، فَأَصْبَحَتْ تَتَشَوَّقُ إلى رُؤْيَتِه .

بَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّام نَمَى إلى الْهِرِّ (وَصَلَ إلى مِسْمَعِهِ) أَنَّ الْمَلِكَ وَابْنَتَهُ يَقومانِ بِرِحْلَةٍ في الْمَمْلَكَةِ ، لِيَتَفَقَّدا شُؤُون الرَّعِية . وَكانَ لا بُدَّ لَهُما مِنْ أَنْ يَمُرّا بِالقُرْبِ مِنْ نَهْرٍ ، تَروي مِياهُهُ أَراضي الْبِلاد . ما إنْ عَلِمَ الْهِرُّ بِالأَمْرِ حَتَّى أَسْرَعَ إلى مُعَلِّمِهِ وَقالَ لَهُ :

«هَيَّا بِنا عَجِّلْ . تَعالَ مَعي ، وَسأَشْرَحُ لكَ ما يَجِبُ فِعْلُه .»

كانَتْ عُرَى الصَّداقَةِ قَدْ تَمَكَّنَتْ بَينَ الْهِرِّ ومُعَلِّمِه . فَلَمْ يَتَرَدَّدْ هَذا الأَخيرُ في أَنْ يَعْمَلَ بِما نَصَحَهُ بِهِ ، فَقامَ مِنْ ساعَتِهِ وَتَبِعَهُ . عِنْدَما بَلَغا النَّهْر ، أَوعَزَ إلَيهِ الْهِرُّ (طَلَبَ مِنْهُ) بِأَنْ يَخْلَعَ ثِيابَهُ ، وَيَنزِلَ إلى الْماءِ لِيَسْتَحِمَّ . فَاسْتَجابَ الشَّابُّ لِطَلَبِه . فَنَزَعَ ثِيابَهُ ، وَتَرَكَها عَلى الشَّاطِىء ، وَدَخَلَ الْماء . أَمَّا الْهِرُّ فَجَمَعَ الثِّيابَ وَخَبَّأَها .





مرَّتِ الْعَرَبَةُ الَّتي تُقِلُّ (تَنْقُلُ) الْمَلِكَ وابْنَتَهُ ، فَجَعَلَ الْهِرُّ يُعْوِلُ وَيَصيحُ بِأَعْلى صَوته :

« إليَّ ، إليَّ ، يا أَهْلَ الْخَيْر ! أَغيثُوني ، أَغيثُوني ، أَيُّها الْمارَّة . إنَّ الْمَرْكيز « كارابا » يُوشِكُ أَنْ يَغْرَق . أَنْجِدُوهُ ، أَنْجِدُوهُ ، خَلِّصوهُ مِنَ الْموت ، يا أَهْلَ النَّجْدَةِ وَالْمُرُوءَة ! »

إسْتَرْعَى هَذا النِّداءُ انْتِباهَ الْمَلِكِ (لَفتَ نَظَرَه) . فَنَظَرَ مِنْ خِلالِ النَّافِذَة ، فَرَأَى الْهِرَّ اللَّابِسَ الْجَزْمَة ، فَقالَ لِابْنَتِهِ : « هَذا صَديقُنا الْهِرُّ يَسْتَنْجِدُ وَيَسْتَغيث . » فَأَوْقَفَ الْعَرَبَة ، وَأَمَرَ بَعْضَ الْجُنودِ الَّذينَ يُحيطونَ بِهِ ، أَنْ يَهُبُّوا إلى نَجْدَةِ الْمَرْكيز (يُسْرِعُوا) . فَامْتَثَلَ هَؤُلاءِ الأَمْرَ (أَطاعوهُ) ، وَسارَعوا إلى مُساعَدَةِ الشَّابِّ الْمِسْكين . فَوَجَدوهُ يَتَخَبَّطُ في الْماء ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى الْغَرَق (قارَبَه) . فَانْتَشَلُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى الشَّاطِئ .

حينَئذٍ تَقَدَّمَ الْهِرُّ مِنَ الْمَلِك ، وَحَيَّاهُ بِاحْتِرامٍ ، قَال : « أَيَأْذَنُ لي سَيِّدي بِالكَلام ؟ »

أَجابَهُ الْمَلِك : « قُلْ ما بَدا لَكَ . »

قالَ الْهِرُّ : « بَيْنَما كانَ مُعَلِّمي الْمَرْكيزُ « كارابا » . يَسْتَحِمُّ ، كُنْتُ جالِساً في ظِلِّ شَجَرَةٍ أَسْتَريح . وَكانَ الْهَواءُ يُداعِبُني ، فَغَفَوتُ بَعْضَ الْوَقْت . وَبَغْتَةً سَمِعْتُ وَطْءَ أَقْدام : فَتَحْتُ عَيْنَيَّ ، وَانْتَصَبْتُ عَلى قَدَمَيَّ ، وَإذا بِشَخْصٍ يَمُرُّ أَمامي ، وَهْوَ يَتَلَفَّتُ يَميناً وَشِمالاً . وَما وَقَعَ



بَصَري عَلَيهِ حَتَّى أَطْلَقَ سَاقَيْهِ لِلرِّيح. وَحَانَتْ مِنِّي الْتِفاتَةٌ إِلَى الشَّاطِيء، فَلَمْ أَرَ ثِيابَ مُعَلِّمي. فَأَيْقَنْتُ (عَلِمْتُ) أَنَّ هذا الرَّجُلَ اللَّعينَ قَدْ سَرَقَها. فَصِحْتُ بِأَعْلى صَوتي: «سارِقٌ، لِصٌّ، أَمْسِكوه!» لكِنَّ اللِّصَّ قَدْ تَوارى عَنِ الأَنْظار. لِذلِكَ، يا صَاحِبَ الْجَلالَة، تَرَى مُعَلِّمي في حَيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، لا يَدري ماذا يَصْنَع.»

قالَ الْمَلِكُ: «سَنَتَدَبَّرُ الأَمْرَ (سَنَهتَمُّ بِالأَمْرِ، وَصَفَّقَ بِيَدَيه، فَأَقبَلَ الْحَرَسُ يَتَسارَعون.

إِلْتَفَتَ إِلى أَحَدِهِم، قال: «تَذْهَبُ السَّاعَةَ إِلى الْقَصْر، وَتَأْتيني بِبَدْلَةٍ كامِلَةٍ، وَتَعودُ إِلَيَّ عَلى جَناحِ السُّرْعَة.» ثُمَّ قَالَ لِلْهِرِّ: «إِذْهَبْ إِلى مُعَلِّمِكَ، وَطَمْئِنْهُ وَطَيِّبْ خاطِرَه، وَقُلْ لَهُ أَنْ يُوافيني (يَأْتيني) بَعْدَ أَنْ يَرْتَدي ثِيابَه.»

سَلَّمَ رَسُولُ الْمَلِكِ الْمَركيزَ حُلَّةً فاخِرَةً فَلَبِسَها، وَتَوَجَّهَ إِلي حَيْثُ الْمَلِكُ وابْنَتُه بِانْتِظارِهِ. إِنْحَنى أَمامَهُما انْحِناءَةً عَميقة. فَأَمَرَهُ الْمَلِكُ بِالاقْتِراب، وصَافَحَهُ هُوَ وابْنَتُه.



ما إنْ وَقعَ بصَرُ الْفَتاةِ عَلَى الشَّابِّ حَتَّى أُعْجِبَتْ بِجَمالِه ، وَبَهاءِ طَلْعَتِه ، وَحُسْنِ أَدَبه ، فَعَلِقَ بِهِ قَلْبُها (هامَتْ بِهِ ، أَحَبَّتْهُ) ، وَمَلَكَ حُبُّهُ عَلَيها .

فَتَحَ الشَّابُّ فاهُ (فَمَهُ) ، قال : « إِنَّ مَولايَ قَدْ غَمَرَني بِفَضْلِه ، وَشَمَلَني بِعِنايَتِه ، أَنا مَدِينٌ لَهُ بِالْحَياة . إِنِّي أَضعُ نَفْسي تَحْتَ تَصرُّفِ جَلالَتِكُم ، فَأَنا رَهِينُ أَمْرِكُم ، وَطَوْعُ إِشارَتِكُم . »

إِبْتَسَمَ الْمَلِكُ لَدَى سَماعِهِ هَذا الْكَلامَ وَقال : « طالَما حَدَّثَنا عَنْكَ رَسولُكَ الْوَفِيّ (الأَمين) ، الْقِطُّ اللَّابِسُ الْجَزْمَة . كانَ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ يُوافِينا (يَأْتِينا) بِهَدِيَّةٍ مِنْ قِبَلِكَ . وَيَطيبُ لَنا أَنْ نَشْكُرَ لَكَ بادِرَتَكَ الطَّيِّبَة . فَتَصَرُّفُكَ يَدُلُّ عَلى سُمُوِّ أَخْلاقِكَ وَطِيبِ عُنْصُرِك (أَصْلِك) . فَبابُ قَصْرِنا مَفْتوحٌ أَمامَكَ . يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِينا كُلَّما راقَ لَكَ ذَلِك . »

قالَ الشَّابُّ ، وَقَدْ أَثَّرَ فِيهِ هَذا الْكَلامُ أَبْلَغَ التَّأْثِير : « إِنَّ مَولايَ يُقَلِّدُني جَميلاً لا أَنْساه (يُولِيني مَعْروفاً) . »

حِينَئِذٍ دَعا الْمَلِكُ الْمَرْكيزَ إِلى أَنْ يَصْحَبَهُ مَعَ ابْنَتِه. فَلَبّى الدَّعْوَةَ شاكِراً.

فَتّشوا عَنِ الْهِرِّ فَلَمْ يَجِدُوه. تُرَى، إِلى أَينَ ذَهَبَ صاحِبُنا الْهِرّ؟ بَيْنَما كانَ الْمَلِكُ يَتَبادَلُ الْحَديثَ مَعَ الْمَرْكيز، انْسَحَبَ الْقِطُّ دونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ أَحَد، وَاخْتَفى عَنِ الْأَنْظار. راحَ يَتَقَدَّمُ الْمَوْكِبَ، وَهْوَ يَجِدُّ في سَيْرِه. وَصَلَ إِلى حَقْلٍ فَسيحٍ، لا يُعْرَفُ لَهُ بِدايَةٌ وَلاَ نِهايَة. وَكانَ الْقَمْحُ يَموجُ في هَذا الْحَقْل، وَقَدْ حانَ وَقْتُ حِصادِه (أَتى). وَكُنْتَ تَرى الْحَصّادينَ يَعْمَلُونَ مُجْتَهِدين، وَالْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْهُم، وَقَدْ أَجْهَدَهُمُ التَّعَب. وَقَفَ فيهِمِ الْهِرُّ وَسَلَّمَ عَلَيهِم. فَأَمْسَكوا عَنِ الْعَمَل، وَرَدُّوا لَهُ التَّحِيَّة.

قالَ لَهُم: «أَلْعافِيَة، يا شَباب.»

أَجابُوه «وَأَلْفُ عافِيَة، أَيُّها الْقِطّ.

—لِمَنْ هَذِهِ الْحُقول؟

—إِنّها تَخُصُّ الْغول.

—أَصْغُوا إِلَيَّ جَيِّداً. إِنَّ جَلالَةَ الْمَلِكِ سَيَمُرُّ بِكُم بَعْدَ قَليل. فَهْوَ يَجولُ في مَمْلَكَتِهِ يَتَفَقَّدُ شُؤُونَها. وَسَوفَ يَتَوَقَّفُ لِيُمَتِّعَ بَصَرَهُ بِمَنْظَرِ هَذا الْحَقْل. وَلاَ شَكَّ في أَنَّهُ سَيَسْأَلُكُم عَنْ صاحِبِه. فَتُجيبُونَه: «هَذا الْحَقْلُ يَخُصُّ الْمَرْكيزَ «كارابا». إِياكُم أَنْ تُخالِفوا مَقالي وَإِلَّا... أَفَهِمْتُم ما قُلْتُهُ لَكُم؟»





قالَ هَذا وَأدارَ لِحاظَهُ فيهِم ، وَعيناهُ تَقْدحانِ شرراً . فَوَقعَتْ خَشْيَتُهُ عَلَيْهِم (خوفُهُم مِنْه) .
فَأَجابُوهُ بِصَوتٍ واحِد : لَكَ ما تُريد ، سَنَمْتَثِلُ أَمْرَكَ (نُطيعُه) . »

شكَرَهُمُ الْهِرُّ وَتابَعَ طَريقَه . إِنْتَهى بِهِ الْمَسيرُ (أَوصَلَهُ) إِلى حَدائِقَ فَسيحَةٍ غَنّاء ، يَأْخُذُ الْعَقْلَ مَنْظَرُها . فَوَقَفَ الْهِرُّ مَشْدوهاً (مُعْجَباً كُلَّ الإِعْجاب) . سُبْحانَ الله ! وَراحَ يَتَنَزَّهُ بَينَ أَشْجارِ التُّفَّاحِ وَالدُّرّاقِ وَالإِجّاص ، يُمَتِّعُ النَّظَرَ بِرُؤْيَتِها . هَذِهِ تُفّاحَةٌ مُوَرَّدَةُ الْخَدَّين ، وَهَذِهِ دُرّاقَةٌ مُخْمَلِيَّةُ الْمَلْمَس ، وَهَذِهِ إِجّاصَةٌ يَحْلُو لَكَ عَضُّها . وَكانَ صاحِبُنا يُحَيِّي الْعُمّالَ الَّذينَ يَمُرُّ بِهِم وَيَتَحدَّثُ إِلَيْهِم . وَعِنْدَما الْتَقى رَئيسَ الْعُمّالِ سَأَلَه : «مَنْ هُوَ صاحِبُ هَذِهِ الْجَنائِن ؟»

أَجابَهُ رَئيسُ الْعُمّال : «إِنَّ الْغُولَ يَمْلِكُها .»

قالَ الْهِرّ : «إِنَّ مَولانا الْمَلِكَ قادِمٌ عَلَيْكُم بَعْدَ قَليل . وَلا رَيبَ في أَنَّ هَذِهِ الْجَنائِنَ سَتَلْفِتُ نَظَرَهُ ، فَيَتَوَقَّفُ لِيُشْبِعَ ناظِرَيهِ مِنْ هَذا الْمَشْهَدِ الأَخّاذ . وَعِنْدَما يَسْأَلُكَ عَنْ مالِكِها ، تُجيبُهُ دُونَ تَرَدُّد : «إِنَّها خاصَّةُ الْمَرْكيز كارابا . إِيّاكَ أَنْ تُخالِفَ أَوامِري .»





قالَ هذا وَحدَّقَ إِلَى رَئِيسِ الْعُمَّال ، وَرَفَعَ ذَنَبَهُ بِاعْتِزاز ، وَفَتَلَ شارِبَيه . وَقَطَّبَ حاجِبَيه ، فَاستَولَى الْخَوفُ عَلَى مُحَدِّثِه . فَأَجابَهُ رَئِيسُ الْعُمَّال ، وَالْخَوفُ يُرْعِدُه : « سَمْعاً وَطاعَةً ، يا سَيِّدي . »

قالَ لَهُ الْهِرّ : « لَنْ تَنْدَمَ عَلَى فِعْلَتِكَ هَذِه . سَنَنْظُرُ في مُكافَأَتِكَ . » ثُمَّ وَدَّعَهُ وَجَدَّ في الْمَسِير .

وَأَخيراً أَوصَلَتِ الْهِرَّ خُطاهُ إِلَى قَصْرٍ عَزَّ نَظِيرُه (قَلَّ مَثِيلُه) . فَهُوَ يُضاهي قُصورَ الْمُلوكِ (يُشاكِلُها ، يُشابِهُها) فَخامَةً وَمَناعَةً . دَخَلَهُ بِقَدَمٍ ثابِتَة ، وَوَلَجَ غُرْفَةً كَبيرَة (دَخَلَها) ، وَإِذا بِهِ أَمامَ رَجُلٍ جالِسٍ عَلَى كُرْسِيٍّ ، ضَخْمِ الْجُثَّةِ ، هائِلِ الْمَنْظَر ، يُثيرُ الرُّعْبَ مَرآه . هُوَ الْغُول .

نَزَعَ الْهِرُّ قُبَّعَته ، وَحَيَّاهُ بِاحْتِرام (سَلَّمَ عَلَيه) . فَنَظَرَ إِلَيهِ الْغُولُ بِازْدِراء ، وَلَمْ يَرُدَّ التَّحِيَّة . فَمَلأَ الرُّعْبُ قَلْبَ هِرِّنا ، وَلَكِنَّهُ تَجَلَّدَ وَتَظاهَرَ بِالْمَرَح ، قال : « قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ الشَّيءَ الْكَثير ، فَإِنَّكَ تَأْتي بِالْمُعْجِزات . بَلَغَ مِسْمَعي أَنَّهُ بِوُسْعِكَ أَنْ تَسْتَحيلَ إِلَى أَيِّ حَيَوانٍ شِئْتَ . هَلاَّ مَثَّلْتَ ذَلِكَ أَمامي ، لِأَتَحَقَّقَ مِنْ صِحَّةِ الأَمْر . فَأَنْشُرَ في الأَرْضِ كُلِّها خَبَرَ مُدْهِشاتِك . »

قهقه الْغولُ قهقهةً ارْتجّتْ لها جدْرانُ الْقاعة ، ثُمّ قال لِلْهرّ : « أعْجبتْني جُرْأتك ، يا سِنّور ، وسأنْزلُ عِنْد رغْبتك . » وقبْل أنْ يُتِمّ كلامهُ استحال أسداً . فارْتدّ الْقِطُّ إلى الْوراء ، وقدْ تملّكهُ الذُّعْرُ (الْخوف الشّديد) . لكِنّهُ تمالك ، قال : « صحيحٌ أنّ ما قُمْت بِهِ لمُدْهِشٌ . أيُوسْعِك أنْ تسْتحيل حيواناً صغيراً ، وعلى سبيلِ الْمثل ، فأرة ؟ » فما أنْجز الْهِرُّ مقالهُ (أتمّهُ) حتّى رأى أمامهُ فأرةً طويلةَ الذّنب ، فوثب عليها وافْترسها . فتنفّس حينئذٍ الصُّعداء ، وراح يخْتالُ في تِلْك الْغُرْفة ، يذْرعُها ذِهاباً وإياباً ، وهْو يهُزُّ شاربيْه ، ويرْفعُ ذنبه . لقدْ أصْبح سيِّد الْموْقف .

في هذِهِ الأثْناء ، كان الْملِكُ وابْنتُهُ يُتابعانِ جولتها ، وقدِ اصْطحبا الْمركيز . ولا تسلْ عنْ فرحِ هذا الأخير ، عِنْدما رأى نفْسهُ جالِساً في الْمركبة ، وإلى جانِبِهِ ابْنةُ الْملِك . أحالِمٌ هُو ؟ وهلْ كان يأمُلُ أنْ يُحالِفهُ الْحظُّ بِهذا الْمِقْدار ؟ فمنْ هُو حتّى يتنازل الْملِكُ ويدْعوهُ إلى مُرافقتِهِ ؟ أليس ابْن الطّحّان ، وهْو لا يمْلِكُ شيئاً في هذِهِ الدُّنْيا سِوى الْقِطّ ؟





أمّا ابنَةُ الْمَلِكِ فَلَمْ تَكُنْ أَقَلَّ غِبْطَةٍ مِنَ الْمَرْكيز. فَقَدِ ارْتاحَتْ إِلَى عَمَلِ أَبيها. فَرَحَّبَتْ بِالشّابِّ أَحْسَنَ تَرْحيب، وَوَسَّعَتْ لَهُ، فَجَلَسَ قُرْبَها، وَراحا يَتَجاذَبانِ أَطْرافَ الْحَديث، بَيْنَما كانَتِ الْمَرْكَبَةُ تَجِدُّ في الْمَسير، يُواكِبُها الْجُنْدُ وَالْحَرَس (يُرافِقُها). مَرُّوا بِحقولِ الْقَمْحِ وَالْجَنائِن. وَكانَ الْمَلِكُ يَسْأَلُ عَنْ صاحِبِها، فَيُجيبُونَه: «إِنَّها تَخُصُّ الْمَرْكيز «كارابا»، يا مَولانا.»

فَيَلْتَفِتُ الْمَلِكُ إِلَى الْمَرْكيز، وَيُبْدي ارْتِياحَه (يُظْهِرُهُ). وَيُثْني عَلَيه. فَيَحْني الْمَرْكيزُ رَأْسَهُ، وَقَدْ تَمَلَّكَتْهُ الدَّهْشَة، دُونَ أَنْ يَنْبس بِبِنْتِ شفة (أَنْ يَلْفِظَ بِكَلِمَة).

عِنْدَما بَلَغوا الْقَصْرَ كانَ الْهِرُّ بِانْتِظارِهِم عِنْدَ مَدْخَلِه. فَسارَعَ إِلَى اسْتِقْبالِ الْمَلِك وَقالَ:

«هَلْ يَتَنازَلُ سَيِّدي الْمَلِك، وَيَقْبَلُ ضِيافَةَ الْمَرْكيز «كارابا» في قَصْرِه؟ إِنَّهُ قَدْ أَعَدَّ لِجَلالَتِكُم وَليمَةً فاخِرَة.»

قَبِلَ الْمَلِكُ الدَّعْوَةَ بِسُرُور .

بَعْدَ الْغَداءِ اخْتَلَى الْمَلِكُ بِالْمَرْكيز (إِنْفَرَدَ بِهِ) ، وَقالَ لَهُ :

« لَيسَ لي وَريثٌ يَخْلُفُني (يَمْلِكُ بَعْدي) . سَأُزَوِّجُكَ بِابْنَتي ، فَتَجْلِسُ عَلَى كُرسِيِّ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدي . »

وَهَكَذا كان . فَأُقيمَتِ الْأَفْراحُ في كُلِّ أَنْحاءِ المَمْلَكَة دامَتْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . أَمَّا الْهِرُّ فَأَقامَ في قَصْرِ الْمَلِكِ كَريماً عَزيزاً ، آمِراً ناهِياً .



أسئلة

١) ماذا نال كل من الأخوة الثلاثة؟

٢) لماذا كان الأخ الأصغر حزيناً؟

٣) ماذا طلب الهر من معلمه؟

٤) ماذا فعل الهر بعدما نزل معلمه إلى الماء؟

٥) ماذا عمل الملك عندما علم ان ثياب المركيز قد سُرِقت؟

٦) ماذا قال الهر للحصادين؟

٧) كيف استطاع الهر أن يقتل الغول؟

٨) كيف انتهت القصة؟



حكايات كل زمان

- الزناد السحري
- رمّودة
- حكاية من الشرق
- ثليجة البيضاء
- مصباح علاء الدين
- بولي وديدي
- غابة السهم الذهبي
- الأمير إڤان والعصفور الذهبي
- أبو قير وأبو صير
- علي بابا واللصوص الأربعون
- هنسل وغريتل
- الأميرة وراعي الماعز
- البلبل
- الإخوة الثلاثة والكنز
- الزهو البرّي
- أبو جزمة
- شرشوح
- الملك الضفدع
- جوقة مدينة بريما
- الناي السحري
- الذئب والعنزات السبع
- الأمير دراغون
- الوزّة السحريّة
- حصّ الثوم
- الفول السحري
- الحمار الذهبي
- وريدة الحمراء وثليجة البيضاء
- قرّة العين
- القزم وابنة الطحّان
- الحيّة البيضاء
- الشاب المحظوظ
- جميلة الغابة
- راعية الأوز
- جوهرة


Kewell
www.arabcomics.net